المحاضرة الثانية: التطور الدلالي أسبابه ومظاهره

مقدمة: اللغة كالكائن الحي تتغذى وتنمو وتتطور وقد تضمر وتموت، وكذلك دلالة الألفاظ تتغير وتتطور، ومثال ذلك موت اللغة السنسكريتية، وموت اللغة اللاتنية، وتطور اللغات الأوروبية، وتطور اللغة العربية بمجيء الإسلام وبكثافة العلوم والمعارف في العصر العباسي، ولذلك فتطور اللغة يرافقه تطور في دلالة ألفاظها، فما المقصود بالتطور الدلالي؟ وما هي أسبابه ومظاهره؟

أولا– تعريف التطور الدلالي: يتداول الناس الألفاظ ويتبادلونها وفق وقوعها في الأذهان والأنفس، لذلك تتباين دلالاتها وتنحرف من جيل لآخر بحسب الزمان والمكان وبحسب تجاربهم وأحداثهم وسياقاتهم.

فالتطور الدلالي هو تغير دلالة اللفظ من وقت لآخر أو من بيئة لأخرى، ولا نقصد به التقدم والتغير الإيجابي فقط، إذ يمكن أن يكون سلبيا أيضا، فيكون للفظ معان هامشية في مقابل المعنى المركزي، عندما ينتقل اللفظ من المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي، ومن المعنى المعجمي الموضوع له إلى معنى آخر بفعل الاستعمال والانحراف والانزياح.

ثانيا– أسباب التطور الدلالي: أهمها: سوء الفهم، الدين، التصوير الفني، الحاجة.

1– سوء الفهم: هو الفهم المخالف الذي يستوعبه السامع فينقله إلى الآخرين بقصد أو بغير قصد، فقد يسمع أحد لفظاً فيفهم معناه بعفوية وتلقائية على غير ما يقصده المتكلم ثم ينقل هذا الفهم الخاطئ إلى الغير، وقد يتعمد إلى تغيير المعنى بهدف السخرية والتهكم مثل: كلمة (الحاجب)، أو من أجل الابتعاد عن معناها الحقيقي لما يحدثه من ابتذال ونفور في النفس لارتباطه بمعاني الدنس أو الغريزة أو الموت أو المرض.

2– الدين: تضمن الدين الإسلامي قواعد شرعية جديدة على المجتمع وفكره ولغته، فنقل معاني بعض الألفاظ إلى معانٍ جديدة، مثل: (الصلاة، الزكاة، الحج، الرسول).

3– التصوير الفني: هو استعمال أدوات بلاغية فنية من أجل خلق صور جديدة ومعنى مخالف للمعنى الحقيقي، يحدث عند استعمال المعنى البياني الفني الناشئ عن التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز بصورة مؤقتة إلى أن يصير استعماله دائماً، مثل: (أسنان المشط) استعيرت كلمة الأسنان أول الأمر من الإنسان أو الحيوان ثم صارت تعبيرا عاديا يعني أفرع المشط، (أرجل الكرسي) استعيرت كلمة أرجل في البداية من الإنسان أو الحيوان ثم صارت تعبيرا عاديا يعني قوائم الكرسي وأعمدته، (فلان طويل اليد) تعني بيانيا فلان كثير الكرم والسخاء أو كثير السرقة

والاعتداء على حقوق الناس، وقد تستقر في معنى دائم هو قوة السلطة والنفوذ، كلمة (الوغى) التي كانت تعني اختلاط الأصوات في المعركة ثم استعملت مجازاً للدلالة على المعركة، ثم أصبحت هي المعركة نفسها.

4- الحاجة: يقصد بها حاجة المجتمع إلى توسيع اللغة ووضع ألفاظ جديدة لتسمية معان جديدة أو أشياء مستحدثة بسبب التطور الحضاري والصناعي، واختراع الآلات من طرف الصناع والموهوبين، فتلجأ الهيئات اللغوية الرسمية كالمجامع اللغوية الموجودة في مختلف الأقطار العربية إلى الاقتراض من اللغة الأجنبية وإدخال ألفاظها إلى القواميس العربية مثل:(التلفزة، التلفزيون)، أو العودة إلى الألفاظ التراثية القديمة لإحيائها وتطوير دلالتها، فتتوسع دلالة اللفظ من مجاله المألوف إلى مجال جديد مثل: (القطار، السيارة، الإذاعة).

ثالثا- مظاهر التطور الدلالي: أهمها: التوسيع، التضييق، الرقي، الانحطاط، التشابه.

1- التوسيع/ التعميم: عندما تتطور دلالة اللفظ من المعنى الضيق إلى المعنى الواسع، ومن أمثلته ما يلي:

الكلمة	المعنى الضيق	المعنى الواسع
البأس	الحرب	الشدة
الورود	الإقبال على الماء	الإقبال على كل شيء
قيصر	اسم إمبراطور روماني (بوليوس قيصر)	الحاكم العظيم الجبار
عنترة	اسم شخص (عنترة العبسي)	الشجاع في القتال
حاتم	اسم شخص (حاتم الطائي)	الكريم
الأسد	اسم حيوان	القائد الشجاع
الإخفاق	عدم الظفر بالغنيمة	عدم الظفر بأي شيء

2- التضييق/ التخصيص: عندما تتطور دلالة اللفظ من المعنى الواسع إلى المعنى الضيق، ومن أمثلته ما يلي:

الكلمة	المعنى الواسع	المعنى الضيق
الغُلول	الخيانة بصفة عامة	إخفاء غنائم المعركة
الحج	السفر عموما	ركن الحج إلى الكعبة في الحرم المكي
الصلاة	الدعاء	عبادة مفروضة خمس مرات في اليوم
الزكاة	الطهارة	إخراج المسلم نسبة من ماله إذا بلغ النصاب

3- الرقي/ السمو: عندما تتطور دلالة اللفظ من المعنى المنحط إلى المعنى الراقي، ومن أمثلته ما يلي:

الكلمة	المعنى المنحط	المعنى الراقي
السفير	الخادم الذي ينقل الأجرة	منصب سياسي سامي في الدولة
الرسول	الخادم الذي ينقل الرسائل لمسؤوله	النبي الحامل للرسالة السماوية
القماش	ما على الأرض من فتات أو متاع	النسيج المتقن الصنع
الجريدة	سعف النخل	وسيلة التواصل
السفرة	طعام المسافر	مائدة كبيرة للطعام

4- الانحطاط/ الانحدار: عندما تتطور دلالة اللفظ من المعنى الراقي إلى المعنى المنحط، ومن أمثلته ما يلي:

الكلمة	المعنى الراقي	المعنى المنحط
الحاجب	رئيس الوزراء في الحضارة الأندلسية	البواب، الحارس
الحائط	البستان	الجدار، السور
الثور	السيد في قومه	الأحمق

4- 5- التشابه: ويقع عند استعمال اللفظ الواحد في مواضع مختلفة بسبب التشابه في معانيها، مثلما نجده في الحواس (ذوق، سماع، شعور)، نقول صوت عذب وماء عذب، استقبال حار وطعام حار. ومن أمثلته أيضا:

الكلمة	المعنى الأول	المعنى الثاني
الوغى	تداخل الأصوات	الحرب
القطار	قافلة الإبل أثناء سفرها	وسيلة نقل
السيارة	الجماعة كثيرة السير في الأرض	وسيلة نقل
الإذاعة	نشر الأخبار	مؤسسة تقنية إعلامية